شروح ابن رشد لكتب أرسطو

الأصول العربية
تلخيص كتب أرسطو في المنطق

الجزء التاسع

تلخيص كتاب الشعر

مركز تحقيق التراث
١٩٨٦

1451a18-19 (٣٦) قال : ومما يحسن به قوام الشعر أن لا يطول فيه بذكر الأشياء الكثيرة التى تعرض للشىء الواحد المقصود بالشعر ، فإن الشىء الواحد تعرض له أشياء كثيرة وكذلك يوجد للشىء الواحد المنبأن إليه أفعال كثيرة .

1451a19-35 (٣٧) قال : ويشبه أن يكون جميع الشعراء لا يتحفظون بهذا ، بل ينتقلون من شىء إلى شىء . ولا يلزمون غرضا واحدا بعينه[1] ما عدا أوميرش . وأنت تجد هذا كثيرا ما يعرض فى أشعار العرب والمحدثين ، وبخاصة عند المدح — أعنى أنه إذا عن لهم[2] شىء ما من أسباب الممدوح مثل سيف أو قوس[3] اشتغلوا بمحاكاته وأضربوا عن ذكر الممدوح . وبالجملة فيجب أن تكون الصناعة[4] تتشبه بالطبيعة — أعنى أن تكون إنما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية واحدة . وإذا كان ذلك كذلك فواجب أن يكون التشبيه والمحاكاة لواحد ومقصودا به غرض واحد، وأن يكون لأجزائه عظم محدود، وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر[5] ، وأن يكون الوسط أفضلها . فإن الموجودات التى وجودها فى الترتيب وحسن النظام إذا عدمت ترتيبها لم يوجد لها الفعل الخاص بها .

1451a36-1451b14 (٣٨) قال : وظاهر أيضا مما قيل من[1] مقصد الأقاويل الشعرية أن المحاكاة التى تكون بالأمور المخترعة الكاذبة ليست من فعل الشاعر ، وهى التى

(٣٧) (١) بعينه ف : — ل ه
(٢) لهم ف ، ل : + ذكر ل .
(٣) قوس ف : فرس ل .
(٤) الصناعة ف ، ل : + فى هذا ل .
(٥) اخر ف : اخير ل .
(٣٨) (١) من ف : فى ل .

تسمى أمثالا وقصصا — مثل ما فى كتاب دمنة وكليلة . لكن الشاعر إنما يتكلم فى الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود لأن هذه هى التى يقصد الهيوب عنها[2] أو طلبها أو مطابقة التشبيه لها ، على ما قيل فى فصول المحاكاة[2] . وأما الذين يعملون الأمثال والقصص فإن عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون . وذلك أن كليهما وإن كانا يشتركان فى الوزن فأحدهما يتم له العمل الذى قصده[3] بالخرافة وإن لم تكن موزونة ، وهو التعقل الذى يستفاد من الأحاديث المخترعة . والشاعر لا يحصل له مقصوده على التمام من التخييل إلا بالوزن . فالفاعل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصا ليس لها وجود أصلا و يضع لها أسماء . وأما الشاعر فإنما يضع أسماء لأشياء موجودة . وربما تكلموا فى الكليات . ولذلك كانت صناعة الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال . وهذا الذى قاله هو بحسب عادتهم فى الشعر الذى يشبه أن يكون هو الأمر الطبيعى للأمم الطبيعية .

1451b15-1452a1 (٣٩) قال : وأكثر ما يجب أن يعتمد فى صناعة المديح أن تكون الأشياء المحاكيات أمورا[1] موجودة لا أمورا لها أسماء مخترعة ، فإن المديح إنما يتوجه نحو التحريك إلى الأفعال الإرادية . فإذا كانت الأفعال ممكنة كان الإقناع فيها

(٣٩) (١) امورا ف : امور ل .

(2) انظر الفقرات ٨ — ١١ .

ف ٢٠٢ ظ أكثر وقوعا — أعنى التصديق / الشعرى الذى يحرك النفس إلى الطلب أو الهرب . وأما الأشياء الغير موجودة [٢] فليس توضع وتخترع لها أسماء فى صناعة المديح إلا أقل ذلك — مثل وضعهم الجود شخصا ثم يضعون أفعالا له ويحاكونها ويطنبون فى مدحه . وهذا النحو من التخييل وإن كان قد ينتفع به منفعة غير يسيرة لمناسبة أفعال ذلك الشىء [٣] المخترع وانفعالاته للأمور الموجودة فليس ينبغى أن يعتمد [٤] فى صناعة المديح ، فإن هذا النحو من التخييل ليس مما يوافق جميع الطباع ، بل قد يضحك منه ويزدريه كثير من الناس . ومن جيد ما فى هذا الباب للعرب وإن لم يكن على طريق الحث على الفضيلة قول الأعشى :

لَعَمْرى لقد لاحت عيونٌ نواظرٌ ... إلى ضوء نارٍ باليفاعِ تُحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار النَّدَى [٥] والمحلَّقُ
وضيفَىْ لبان ثدىَ أُمٍّ تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لا تتفرق [٦]

و إذا كان هذا هكذا فظاهر أن الشاعر إنما يكون شاعرا بعمل الخرافات والأوزان بقدر ما يكون قادرا على عمل التشبيه والمحاكاة . وهو إنما يعمل التشبيه للأمور الإرادية الموجودة . وليس من شرطه أن تحاكى الأمور التى هى موجودة فقط ، بل وقد يحاكى الأمور التى يظن بها أنها ممكنة الوجود [٦]

(٢) موجودة ف : الموجودة ل .
(٣) الشىء ف : — ل .
(٤) يعتمد ف : يقصد ل .
(٥) الندى ف : الندا ل .
(٦) الوجود ل : الوجوه ف .

(3) الأبيات للأعشى ميمون بن قيس ، فى ديوانه ٢٢٣ — ٢٢٥ ، والعمدة ١ / ٤٩ ، والبيت الثالث فى ذيل الأمالى للقالى ٢١١ .

ل ٢٢١ ظ وهو فى ذلك شاعر ليس بدون ماهو فى محاكاة الأمور / الموجودة من قبل أنه ليس مانع يمنع أن توجد تلك الأشياء على مثل [٧] حال الأشياء التى هى الآن موجودة . فليس يحتاج فى التخيل [٨] الشعرى إلى مثل هذه الخرافات المخترعة ولا أيضا يحتاج الشاعر المفلق أن تتم محاكاته بالأمور التى من خارج ، وهو الذى يدعى نفاقا وأخذا بالوجوه . فإن ذلك إنما يستعمله المموهون من الشعراء — أعنى الذين يراؤون أنهم شعراء وليسوا شعراء [٩] . وأما الشعراء بالحقيقة فليس يستعملونه إلا عندما يريدون أن يقابلوا به استعمال الشعراء الزور له [١٠] . وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فليس يستعملونه أصلا .

1452a1-7 (٤٠) وقد يضطر المفلقون فى مواضع أن يستعينوا باستعمال الأشياء الخارجة عن عمود الشعر من قبل أن المحاكاة ليس تكون فى كل موضع للأشياء الكاملة التى تمكن [١] محاكاتها على التمام ، بل [٢] لأشياء ناقصة تعسر محاكاتها بالقول فيستعان على محاكاتها بالأشياء التى من خارج ، وبخاصة إذا قصدوا محاكاة [٣] الاعتقادات لأن تخيلها [٤] يعسر إذ كانت ليست أفعالا ولا جواهر . وقد تمزج

(٧) مثل ف : مثال ل .
(٨) التخيل ف : التخييل ل .
(٩) شعراء ف : بشعراء ل .
(١٠) الزور له ف : الزورية ل .

(٤٠) (١) تمكن ف : ممكن (م) ل .
(٢) بل ل : — ف .
(٣) محاكاة ل : محاكاتها ف .
(٤) تخيلها ف : تخييلها ل .